الوضع العلمى

فى عصر التجديد

لايعنى الذين يرددون كلمة التجديد فى هذه الايام بأن يبحثوا صور التجديد فى العلم ولاصور التجديد فى الفلسفة ولاصور التجديد فى الفن . هذه ظاهرة لاتفوت كل مطلع على حركة الآداب الحديثة ، مسايرلتيارها فى العقدين الفارطين من السنين . فاذا قيل تجديد انصرفت الاذهان الى الأدب واذا قيل نهضة انصرفت الأذهان كذلك إلى الأدب ، كأن مرافق الحياة العقلية فى مصر خاصة والشرق عامة ، عبارة عن بناء قائم على الأدب وحده ، وأنه ليس لشرق من علاقة ذهنية بغير الادب وصور الأدب.

على أنى لم أجد بجانب هذا أديباً واحدا صرف ذهنه إلى التفكير فى هذه الناحية ، بل انصرف الجميع يقولون التجديد ويشيدون بالتجديد ، وهم فى كل هذا لايعنون منه إلا حركة الأدب ، كأنه ليس وراء العالم العربى من ماض إلا الأدب ، وأن ليس له فى التاريخ من رجعى يرجع اليها فى الفلسفة أو العلم أو الفن . على أن السبب فى ذلك ظاهر كل الظهور . فان الآداب وفنونها أروح على النفس واسبق ظهوراً فى نهضات الأمم التى انقطع مابين حاضرها وماضيها وفصل بين سلفها وخلفها بقرون من الانحطاط ودهور من الجمود الذهنى

لم ينصرف الناس فيما يعنون بالتجديد لسوى الأدب . هذه حقيقة يجب أن نعنيها دائما إذا أردنا أن نكتب فى حركة التجديد الحديثة . ولعل السبب فى هذا راجع إلى أن الحضارة العربية قامت على الأدب وعلى الفن وعلى اللاهوت ، دون العلم والفلسفة. نعم كان للأسلاف فلسفة وقام منهم فلاسفة وكان لهم علم وكان منهم علماء ، ولكن الحقيقة أن الأدب واللاهوت والفن ، وفن البناء على التخصيص ، كانت الدعامات التى قامت عليها المدنية التى ورثنا عنها آدابنا العربية الوضاحة

هذا وجه خطر من أوجه التفكير فى حركة التجديد لأن الأدباء والمتأدبين إذا انصرفت أذهانهم إلى التفكير فى التجديد على أنه أدب أولا وأنه فن ولاهوت ثانيا وأنه

علم وفلسفة ثالثا اصطبغت الحضارة التى نقيم أساسها الآن بصبغة لا ترضاها . ذلك لأنى اعتقد أن الأدب إن كان من الاسس الأدبية فى خلق صورة غير كاملة على كل حال من صفات كل شعب من الشعوب الشرقية فانى اعتقد أن صور التأمل الفلسفى والانتاج العلمى هى لدى الحقيقة الصور الكاملة التى تصور حقيقة كل شعب من الشعوب وتكون لدى البحث فكرة عامة عن مبلغه من الحضارة الصحيحة

وليس الخطر الحقيقى فى الانصراف الى الادب والى فكرة أن التجديد محصور فى الأدب — بل الخطر فى أن نعتقد بان الأدب — على عجزه عن التعبير عن مبلغ الشعوب من الرقى — كاف وحده لان يقيم حضارة تعبر عن حقيقة مؤهلاتنا المدنية . لهذا يجب أن نوازن بين الخطوات التى نخطوها فى هذه السبيل، وان نجعل للتأمل الفلسفى والانتاج العلمى أوسع مجال فى تكوين صورة حقة من الحضارة التى نرمى الى تشييدها على اساس ثابت امين .

ولدى على أن الأدب لا يعبر تعبيراً صحيحاً عن حقيقة الامم ومؤهلاتها برهان ينحصر فى ان الادب اكثر ما يكون مقروءاً اذا كان قصة شعبية أو صوراً من صور الصحف الصفراء التى تعنى بجمع اخبار الجرائم والحوادث اليومية، فى حين ان الادب المنتج ، اى الادب العلمي الفلسفى ، لم يجد من الرواج حتى فى أوربا وباو أمريكا ، ميدانا واسعا أو رواجا يمكن أن يتخذ اساساً تقاس به درجة الامم من الرقى . فان الادب الراقى لا يزال منحصراً اثره فى طبقات قليله لا تزيد على الطبقات التى تعنى بالعلم والفلسفة الا قليلا

والناس يخطئون كل الخطأ اذ يقيسون النهضة بمقياس العدد الذى تخرجه المطابع من المطبوعات أو العدد الذى تصدره الصحف . ذلك لان الحكم على هذه الاشياء لا يرجع الى الكمية بل الى الكيفية . فجريدة تطبع عشرين ألفاً فيها صور بعض المجرمين وطريقتهم فى الاجرام وأساليبهم فى السلب والنهب لا يمكن ان تعد قياساً تقاس به درجة الامة من الرقى ، بل على الضد اعتقد انه أصح مقياس تقاس به درجتها من الانحطاط وفساد الطبع والانصراف عن الجد الى الهزل وعن الانتاج الى الاسراف وعن الفضيلة الى الاسفاف

هذا رأينا الصريح .أما الانصراف عن الادب،وعن الادب الاصفر على الاخص، الى العلم والتأمل الفلسفى ، فلا يمكن أن نكون مجددين فيه بحق، الا اذا قام شعور تام بأن العلم والفلسفة من الضروريات لامن الكماليات

فأن هذا المعتقد وحده كفيل بان يخرجنا بنهضة صحيحة وتجديد صحيح تتوازن فيه القوى وتتسق الخطا .

وهذا الاصلاح الصحيح مطلوب رأساً من هيأتين . أولاهما هيئة الجامعة والثانية هيأة الازهر . فاذا استطعنا ان نخلص من مجهود هاتين الهيأتين بهذه النتيجة ، استطعنا أن نقول بحق اننا فزنا بنهضة واننا نجدد تجديداً قيما صحيحاً .

«فلان»

التعاون طبيعة في الخلق

أفلت منا هذا المقال الى آلة الطبع وقد سهى على المصحح أن يقرأه،فوقعت فيه بعض اغلاط مطبعية لاتغير المعنى؛ نعتذر عنها لحضرات القراء ولحضرة كاتبه الأستاذ الجليل.

اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

تاريخ الفكر العربي

في نشوئه وتطوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية